



# مع فرس النهر

على ضفاف النيل

تأليف : سامي البجيرمي

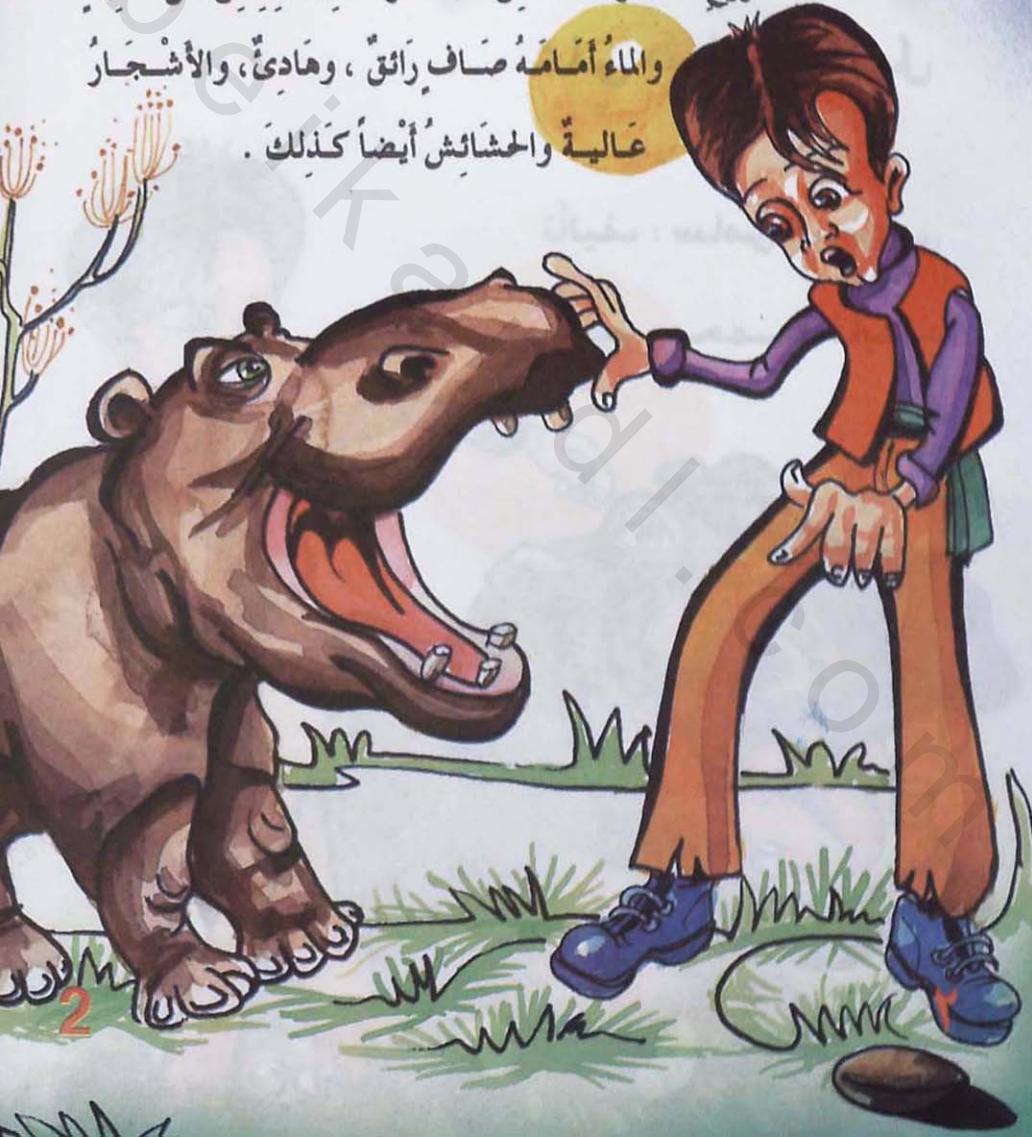
رسوم : محمد فايد



سَأَلَ مُحَمَّدٌ : « أَيْنَ نَحْنُ ؟ » .

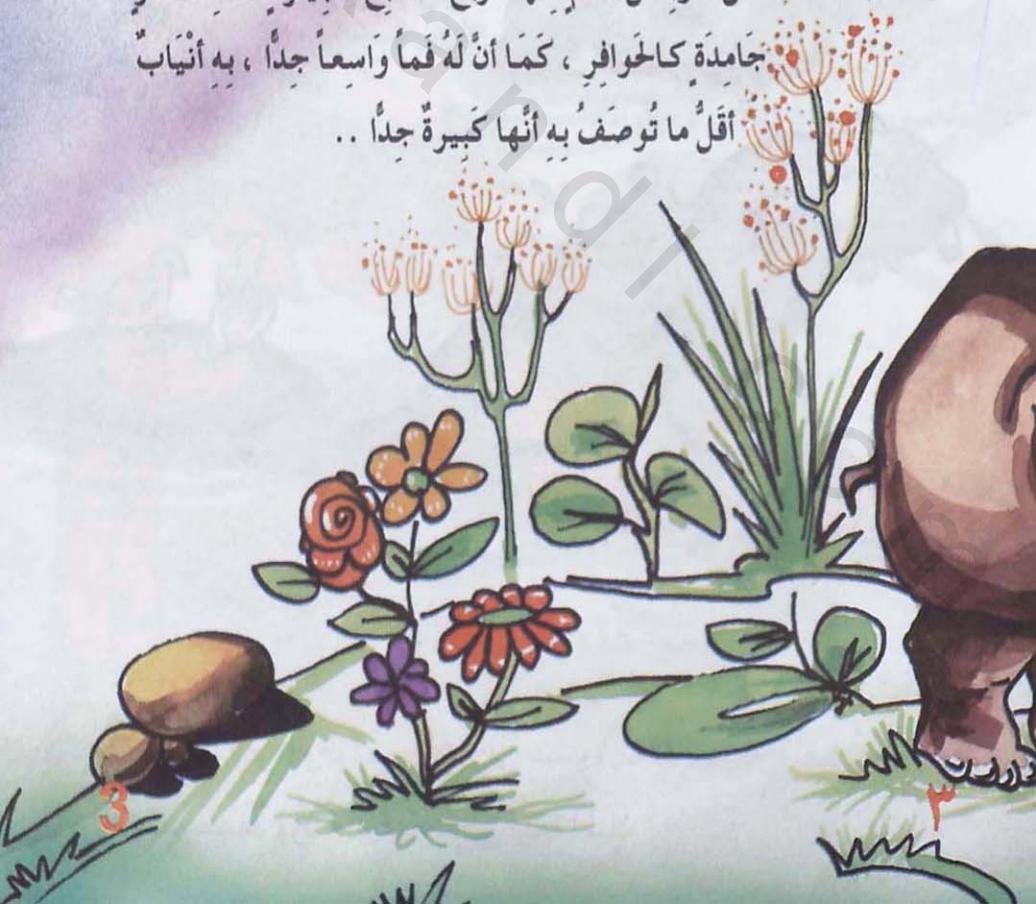
رَدَّ فَرَسُ النَّهْرِ : « نَحْنُ عَلَى ضِفَافِ أَعَالِي نَهْرِ النَّيْلِ ، بِالْقُرْبِ  
مِنَ مَدِينَةِ أَدِيسَ أَبَا ، عَاصِمَةِ دَوْلَةِ إِثْيُوبِيَا » .

بَدَأَ مُحَمَّدٌ يَتَأَمَّلُ الْمَكَانَ كَعَادَتِهِ ، فَوَجَدَهُ مَكَانًا سَاحِرًا  
كَارْوَعٍ مَا تَكُونُ الْأَمَاكِنُ ؛ الْحُضْرَةُ تُحِيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ،  
وَالْمَاءُ أَمَامَهُ صَافٍ رَاقِقٌ ، وَهَادِيٌّ ، وَالْأَشْجَارُ  
عَالِيَةٌ وَالْحَشَائِشُ أَيْضًا كَذَلِكَ .



إِنَّ الْمَكَانَ يُشْبِهُ لَوْحَةً بَدِيعَةً ، كُلُّ مَا فِيهَا مُتَنَاسِقٌ يَبْعَثُ فِي النَّفْسِ  
 إِحْسَاسًا رَائِعًا بِالْجَمَالِ ، وَإِيمَانًا عَمِيقًا بِقُدْرَةِ اللَّهِ ..  
 الْحَيَوَانَاتُ تَلْعَبُ ، وَتَلْهُو فِي هُدُوءٍ لَمْ يُعَكِّرْ صَفْوَةَ فِي تِلْكَ  
 اللَّحْظَةِ شَيْءٌ .. أَفْرَاسُ النَّهْرِ تَسْتَمْتِعُ بِالمَاءِ فِي سَعَادَةٍ فَتَغْفُسُ تَحْتَ  
 المَاءِ تَارَةً ( مَرَّةً ) وَتَسْبِحُ فَوْقَ صَفْحَتِهِ تَارَةً أُخْرَى .

وَبَدَأَ مُحَمَّدٌ يَتَأَمَّلُ صَدِيقَهُ بِلَوْنِهِ الرَّمَادِيِّ الرَّائِعِ وَجِلْدِهِ السَّمِيكَ  
 جِدًّا وَرَأْسَهُ الكَبِيرَةَ الضَّخْمَةَ ، وَأَقْدَامَهُ الأَرْبَعَ الَّتِي تُشْبِهُ خُفًّا  
 الجَمَلِ ، وَبِكُلِّ قَدَمٍ مِنْهَا أَرْبَعُ أَصَابِعٍ كَبِيرَةٍ ذَاتِ أَظْفَارٍ  
 جَامِدَةٍ كَالْحَوَافِرِ ، كَمَا أَنَّ لَهُ فَمًا وَاسِعًا جِدًّا ، بِهِ أَنْيَابٌ  
 أَقْلٌ مَا تُوصَفُ بِهِ أَنَّهَا كَبِيرَةٌ جِدًّا ..



وتعجب محمد .. كيف استطاعت مركبته الصغيرة حمل هذا  
الكائن الضخم ، فارتفع كتفيه عن الأرض وهو واقف حوالى المتر



ونصف المتر ، وطوله من أنفه إلى منبت ذيله ثلاثة أمتار ونصف المتر ،  
وقدر محمد وزن صديقه بحوالى أربعة أطنان !!

وبِلا مُقَدِّمَاتٍ ، تَرَكَ قَرَسُ النُّهْرِ صَدِيقَهُ مُحَمَّدًا ، يَسْتَمْتِعُ  
بِجَمَالِ المَكَانِ وَجَرَى إِلَى النُّهْرِ لِيَقْدِفَ بِنَفْسِهِ فِيهِ .. وَمِنْ عَلَيِ  
الشَّاطِئِ بِدَأَ مُحَمَّدٌ يَرِاقِبُ قَرَسَ النُّهْرِ ، الَّذِي غَطَسَ فِي المَاءِ .  
وَبَدَأَ مُحَمَّدٌ يَنْظُرُ فِي سَاعَةِ يَدِهِ ؛ فَوَجَدَ خَمْسَ دَقَائِقَ قَدْ مَرَّتْ قَبْلَ  
أَن يَظْهَرَ قَرَسُ النُّهْرِ الَّذِي غَمَرَ نَفْسَهُ فِي المَاءِ .



وَلَكِنَ مُحَمَّدًا دَقِقَ النِّظَرِ فَوَجَدَ أَنَّ  
أَفْرَاسَ النُّهْرِ تَتْرُكُ - عَادَةً - آذَانَهَا ،  
وَأَعْيُنَهَا ، وَأَنْوْفَهَا خَارِجَ المَاءِ .. وَعِنْدَمَا ظَهَرَ قَرَسُ النُّهْرِ فَوْقَ  
صَفْحَةِ المَاءِ كَانَ بِمِشَابَةِ قِطْعَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الأَرْضِ تَسْتُخْدِمُهَا  
الطُّيُورُ كَمَهْبِطٍ لَهَا فِي وَسْطِ المَاءِ .



مَرُّوْقتٌ طَوِيْلٌ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ قَرَسُ النَّهْرِ مِنَ الْمَاءِ ؛ لِيَعْتَذِرَ  
لصَدِيْقِهِ مُحَمَّدٍ عَنِ تَأْخِرِهِ ..

قَالَ قَرَسُ النَّهْرِ :

« آسِفٌ لَتَأْخِرِي عَنْكَ وَلَكِنِّي سَعِيدٌ بَعُوْدَتِي إِلَى وَطَنِي » .

رَدَّ مُحَمَّدٌ : « أَقْدَرُ ذَلِكَ !! وَلَكِنْ قُلْ لِي : هَلْ تُحِبُّونَ الْمَاءَ إِلَى هَذَا

الْحَدِّ ؟ » .

أَجَابَ قَرَسُ النَّهْرِ : « إِنَّ أَفْرَاسَ النَّهْرِ تَعْشِقُ الْمَاءَ ، فَتَقْضِي فِيهِ  
مُعْظَمَ نَهَارِهَا ، وَقَدْ تَخْرُجُ مِنْهُ قَلِيْلًا مِنَ الْوَقْتِ لِتَرْقُدَ عَلَى شَاطِئِهِ  
تَسْتَمْتِعُ بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ » .

قَالَ مُحَمَّدٌ : « وَهَلْ يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّكَ سَبَّاحٌ مَاهِرٌ ؟ » .

رَدَّ قَرَسُ النَّهْرِ : « طَبْعًا .. إِنَّنِي أَسْتَطِيعُ السَّبَّاحَةَ لِمَسَافَةِ ثَلَاثِينَ

كَيْلُوْ مِتْرًا ، وَلَكِنْ لِلْحَقِّ ، لَا يَحْدُثُ ذَلِكَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ ، وَلَكِنْ فِي  
الْمُعْتَادِ أَسْبَحُ حَوَالِي ثَلَاثَةِ كَيْلُوْ مِتْرَاتِ » .

قَالَ مُحَمَّدٌ : « وَمَتَى تَأْكُلُونَ إِذَنْ ؟ » .

رَدَّ قَرَسُ النَّهْرِ : « فِي اللَّيْلِ !! إِنَّا نَخْرُجُ فِي جَمَاعَاتٍ كَبِيْرَةٍ

لِلْبَحْثِ عَنِ الطَّعَامِ ، حَيْثُ نَلْتَهُمُ الْأَعْشَابَ وَالْمَجْدُوْرَ ، فَنَحْنُ

نَحْتَاجُ إِلَى كَمِّيَّاتٍ كَبِيْرَةٍ مِنْهَا » .

قَالَ مُحَمَّدٌ :

« أَرَى أَنْتُمْ أَقْرَبَاءَ !! وَأظُنُّ أَنْ قَائِدَكُمْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَقْرَأَكُمْ ؟ » .

ضَحِكَ فَرَسُ النَّهْرِ ، فَظَهَرَتْ أَنْبَاهُ قَوِيَّةٌ مُخِيفَةٌ وَقَالَ :

«بِالطَّبَعِ لَا !! إِنَّ الْقَطِيعَ أَوْ جَمَاعَةَ أَفْرَاسِ النَّهْرِ تَتَكَوَّنُ فِي الْعَادَةِ

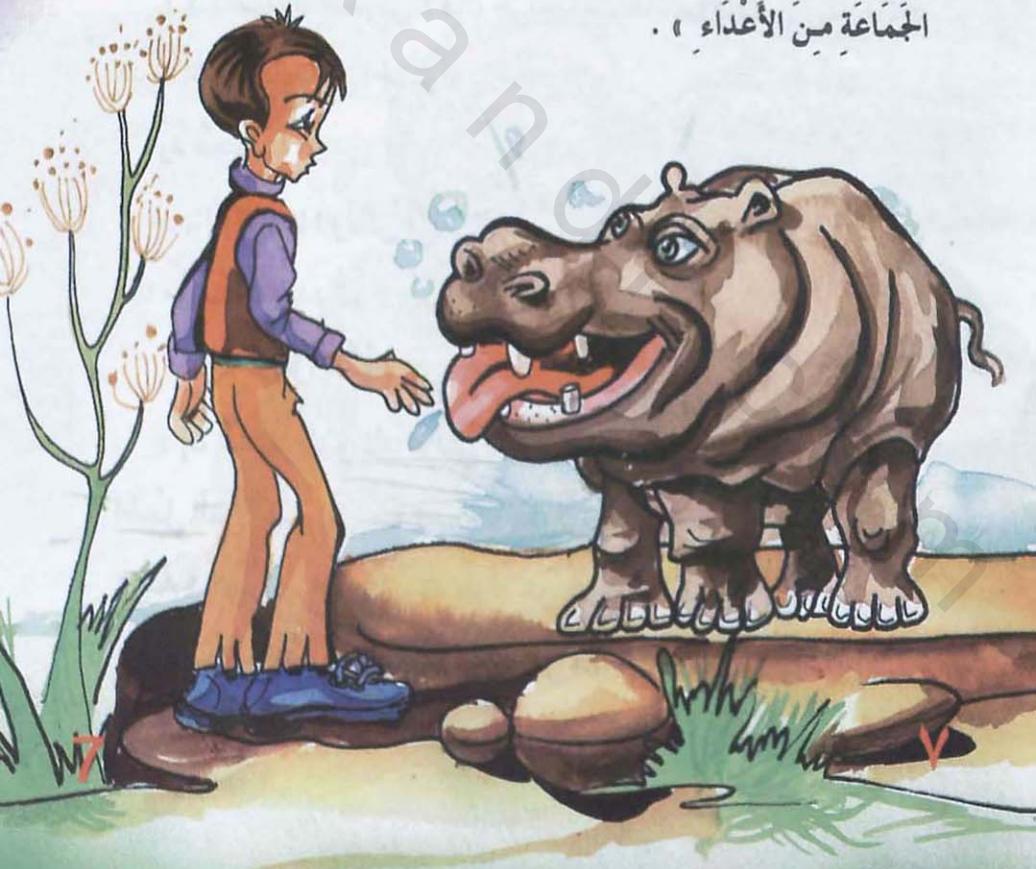
مِنْ مِائَةِ فَرْدٍ ، تَحْكُمُهُمْ أُمٌّ كَبِيرَةٌ تُسَمَّى « الْأُمُّ الرَّئِيسَةُ » ، وَتَسْتَوِطِنُ

كُلَّ جَمَاعَةٍ مِنْهَا أَحَدَ شُرَاطِئِ النَّهْرِ ، وَفِي دَاخِلِ الْجَمَاعَةِ ، يَعِيشُ

الْأَفْرَادُ فِيمَا يُشْبِهُ « الْحَلْقَةَ » ؛ حَيْثُ تَحْتَلُّ الْإِنَاثُ مَرْكَزَهَا ..

أَمَّا الذُّكُورُ فَيَكُونُ مَكَانَهُمْ فِي الْأَطْرَافِ حَيْثُ تَتَوَلَّى مَهْمَةً حِمَايَةَ

الْجَمَاعَةِ مِنَ الْأَعْدَاءِ . »



وَقَطَعَ فَرَسُ النَّهْرِ كَلَامَهُ ، لِيَنْظُرَ إِلَى مَعْرَكَةِ حَامِيَةٍ ، قَامَتْ بَيْنَ  
فَرْدَيْنِ مِنْ جَمَاعَتِهِ ، وَفِي لِحْظَاتٍ ، احْتَدَمَتِ الْمَعْرَكَةُ أَكْثَرَ ، وَبَدَأَتْ  
الدَّمَاءُ تَسِيلُ بِغَزَارَةٍ ، وَمُحَمَّدٌ مُنْدَهَشٌ وَأَسِيفٌ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ  
لَمَّا يَحْدُثُ ، وَخَافَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَنْيَابِ الضَّخْمَةِ ، الَّتِي  
بَدَأَ يَرَى كَيْفَ تُؤَثِّرُ فِي الْخِصْمِ وَهُوَ مِنْ نَفْسِ الْجَمَاعَةِ ، وَيَتَخَيَّلُ مَاذَا  
يُمْكِنُ أَنْ تَفْعَلَ فِي الْعَدُوِّ ۱؟ .

قَطَعَ فَرَسُ النَّهْرِ فَتْرَةَ الصَّمْتِ ، وَقَالَ مُحَمَّدٌ :

« لَا تَحْزَنَ يَا صَدِيقِي إِنْ جَرَّاحَنَا سُرْعَانَ مَا تَلْتَمِسُ ، وَإِنْ كَانَتْ  
تَتْرَكُ أَثْرًا وَأَضِحَا فِي الْجِسْمِ » .  
رَدَّ مُحَمَّدٌ :

« بِالتَّأَكِيدِ ۱۱ وَلَكِنْ قُلْ لِي : لَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّكُمْ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الْعَدَدِ  
فَمَا سَبَبُ قِلَّةِ عَدَدِكُمْ ؟ » .

أَجَابَ فَرَسُ النَّهْرِ :

« إِنَّ عَدَدَنَا قَلِيلٌ لِأَنَّ الْأُنثَى تَلِدُ صَغِيرًا وَاحِدًا كُلَّ عَامٍ بَعْدَ فَتْرَةِ  
الْحَمْلِ الَّتِي تَصِلُ إِلَى ٢٤٠ يَوْمًا وَيَكُونُ صَغِيرًا ضَعِيفًا فَلَا يَزِيدُ وَزَنُّهُ  
عَنْ ٤٨ كَيْلُو جَرَامًا وَلَا يَزِيدُ طُولُهُ عَنْ مِثْرٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ۱ » .  
تَبَسَّمَ مُحَمَّدٌ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « كُلُّ هَذَا .. فَقَطْ ۱؟ » .



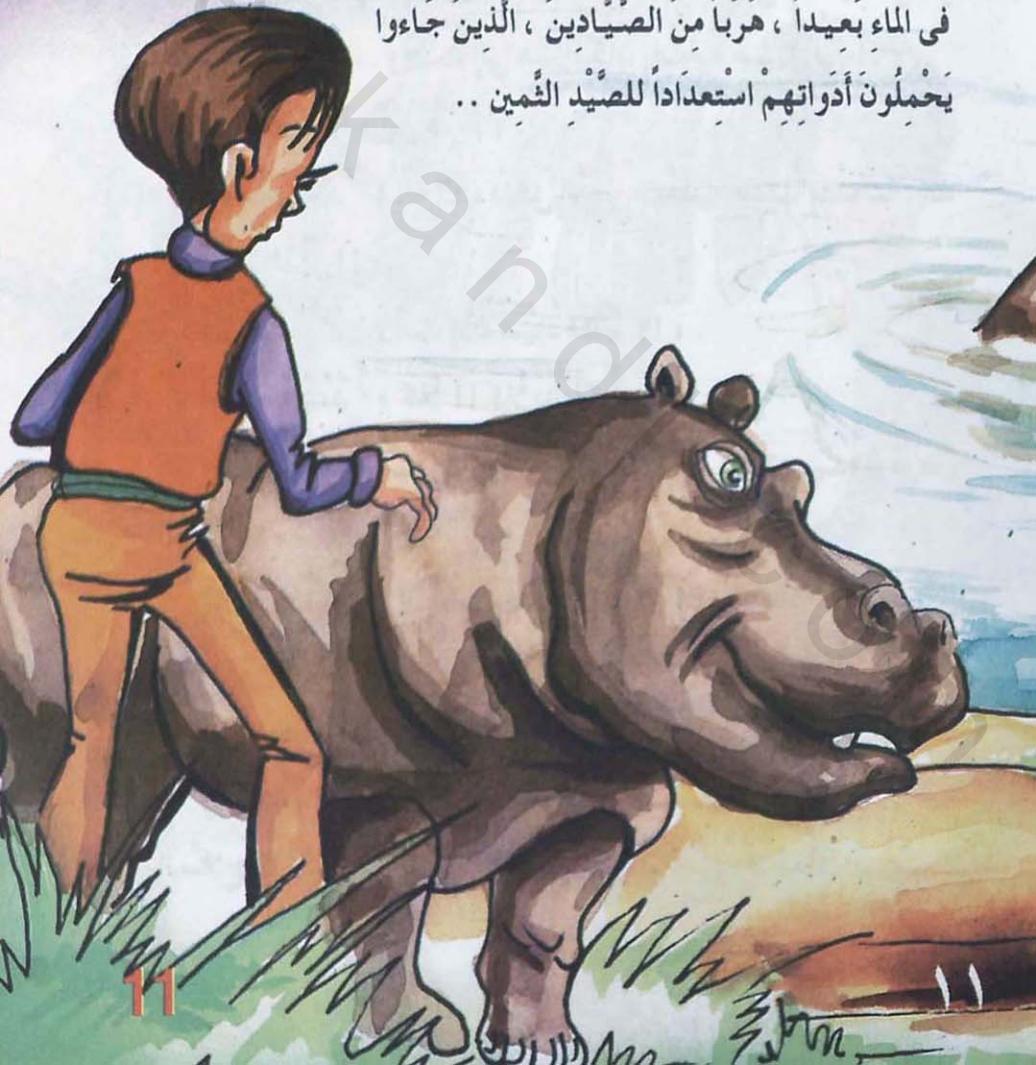
أَكْمَلْ قَرَسُ النَّهْرِ كَلَامَهُ :

« عَلَى أَنْ الصَّغِيرَ مِمَّا يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ عَلَى أَقْدَامِهِ خِلَالَ دَقَائِقَ  
بَعْدَ وِلَادَتِهِ ، وَتُدْخِلُهُ الْأُمُّ فِي الْحَالِ إِلَى الْمَاءِ حَتَّى يُتَقِنَ السَّبَّاحَةَ ،  
وَتُعَلِّمُهُ الْأُمُّ السَّبَّاحَةَ إِلَى مُسْتَوَى الْكَفِّيرِ ، حَتَّى إِذَا هَجَمَ عَلَيْهِ أَيْ  
عَدُوٌّ - مَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّتُهُ - فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ سَحْبَهُ إِلَى الْمَاءِ  
وَهُنَاكَ يَسْتَطِيعُ إِغْرَاقَهُ !!



وَتَوَلَّى الْأُمُّ رِعَايَةَ شُؤْنِ الصَّغِيرِ .. وَلَكِنْ قِلَّةُ التَّكَاثُرِ لَدَيْنَا  
لَيْسَتْ السَّبَبَ الْوَحِيدَ فِي قِلَّةِ أَعْدَادِنَا ، وَلَكِنْ أَيْضًا لِكُونِنَا هَدَفًا  
لِلصَّيَّادِينَ . . .

وَهُنَا تَعَالَتْ بَعْضُ الصَّيْحَاتِ فِي الْمَكَانِ ، وَكَانَتْ لِبَعْضِ  
الصَّيَّادِينَ ؛ فَقَطَعَ قَرَسُ النَّهْرِ كَلَامَهُ وَقَذَفَ بِنَفْسِهِ  
فِي الْمَاءِ بَعِيدًا ، هَرَبًا مِنَ الصَّيَّادِينَ ، الَّذِينَ جَاءُوا  
يَحْمِلُونَ أَدْوَاتِهِمْ اسْتِعْدَادًا لِلصَّيْدِ الثَّمِينِ ..



أصابت الدهشة محمداً ؛ لأنه لم ير الصيادين يحملون الحراب  
والسهام كعادة الصيادين في إفريقيا ، ولكنه رآهم ومعهم قفص  
خشبي ضخم ، فاستغرب الأمر .

لحظات وكان الصيادون قد اقتربوا من المكان ليجدوا أفراس  
النهر بعيدة داخل الماء ومحمداً وحده على الشاطئ ؛ فتقدم إليه أحد  
الصيادين ليسأله عن سبب وجوده في هذا المكان .

رد محمد : « إنني غريب عن هذه البلاد !! ولي سفينة ترسو  
بالقرب من هنا .. وجئت إلى هذا المكان بصحبة صديق لي !! » .  
قال الصياد : « أين هو ؟ » .

أجاب محمد : « إنه الآن داخل النهر .. فقد جئت بصحبة أحد  
أفراس النهر !! » .

قال الصياد : « أنت إذن صياد مثلنا ١٢ » .

أجاب محمد : « كلاً !! كلاً بالتأكيد » .

واستطرد محمد وقال : « ولكن قل لي : لماذا تصيدون قوس  
النهر ١٢ » .

قال الصياد : « إن لحمه لذيذ ، ودهنه كثير ، كما أننا نستعمل  
جلده في صنع الأحذية والسيّاط !! » .

قال محمد : « ولكن أين الحراب والسهام التي تصيدون بها ؟ » .  
رد الصياد : « إن جلد أفراس النهر سميك جداً ، ولا يؤثر فيه  
السلاح !! ولذلك فأنت ترانا نحمل قفصاً خشبياً ضخماً !! » .



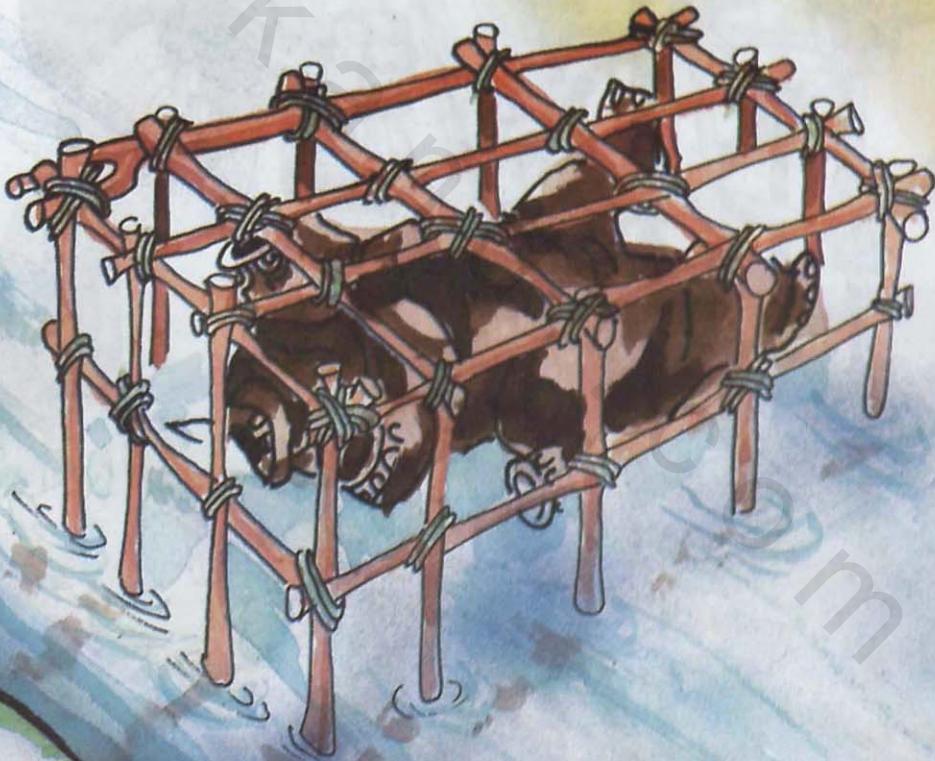
سَأَلَ مُحَمَّدٌ : « مَاذَا تَفْعَلُونَ بِهِ ؟ » .

أَجَابَ الصَّيَّادُ : « إِنَّا نَتَحَيَّنُ الْفُرْصَةَ ، حَتَّى إِذَا وَجَدْنَا أَحَدَ

أَفْرَاسِ النَّهْرِ مُنْفَرِدًا فِي إِحْدَى الْبُحَيْرَاتِ الصَّغِيرَةِ ، فَإِنَّا نُسْقِطُهُ

فَوْقَهُ وَنَرْقُبُهُ وَهُوَ مَحْبُوسٌ فِي الْبُحَيْرَةِ حَتَّى يَمُوتَ مِنَ الْجُوعِ فَنَسْحِبُهُ

إِلَى الْبَرِّ ... » .



سَبَبَ كَلَامِ الصَّيَّادِ الضَّيْقَ مُحَمَّدٌ وَلَمْ يَنْتَظِرْ حَتَّى يَرَى صَدِيقَهُ  
فَرَسَ النَّهْرِ وَهُوَ يَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ ، فَتَرَكَ الصَّيَّادِينَ وَرَحَلَ إِلَى  
سَفِينَتِهِ .

وَفِي السَّفِينَةِ اسْتَقْبَلَتِ الْحَيَوَانَاتُ مُحَمَّدًا بِالْتَّرْحَابِ الْمَعْهُودِ ،  
وَبَدَأَتِ الْقُرْعَةَ فَوْرًا ..  
وَكَانَتْ مِنْ نَصِيبِ « الْكُنْفَرِ » .. الَّذِي أَخَذَ يَقُودُ السَّفِينَةَ إِلَى  
بِلَادِهِ .



دار الرشاد	: الناشر
١٤ شارع جواد حنى - القاهرة	: العنوان
٣٩٣٤٦٠٥	: تليفون
٩٨ / ٨٢٨٠	: رقم الإيداع
1 - 66 - 5324 - 977	: الترقيم الدولى
عربية للطباعة والنشر	: الطبع
١٠، ٧ ش السلام - أرض اللواء - المهندسين	: العنوان
٣٢٥١٠٤٣ - ٣٢٥٦٠٩٨	: تليفون
أرمس	: الجمبع
٣٢ شارع عل عبد اللطيف - مجلس الأمة	: العنوان
٣٥٦٤٤٠٤	: تليفون
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة	
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م	: الطبعة الأولى